بحث مادة علوم القرآن
(2)

ملخص القسم الثاني من كتاب
" لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير "

تأليف
الدكتور محمد بن لطفي الصباغ

تلخيص
أحمد محمد بوقرين

طالب الدراسات العُليا – أصول دين

" بسم الله الرحمن الرحيم "

إن الحمد لله نحمده و نشكره و نستهديه و نستغفره و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له و اشهد ألا إله إلا الله و أشهد أن محمدا عبده و رسوله .

اللهم إني أبرأ من الثقة إلا بك و من الأمل إلا فيك و من التسليم إلا لك و من التفويض إلا إليك و من التوكل إلا عليك و من الرضا إلا عنك و من الطلب إلا منك و من الذل إلا في طاعتك و من الصبر إلا على بابك و من الرجاء إلا في يديك الكريمتين و من الرهبة إلا بجلالك العظيم .

اللهم تتابع برك و اتصل خيرك وكمل عطاؤك و عمت فواضلك و تمت نوافلك وبر قسمك و صدق وعدك و حق على أعدائك وعيدك ولم يبقى لي حاجة هي لك رضا و لي صلاح إلا قضيتها و أعنتني على قضائها يا أرحم الراحمين .

(اتجاهات التفسير)

سيكون الكلام في هذا القسم من الكتاب في أبواب ثلاثة :

الباب الأول : أصول التفسير .
الباب الثاني : تاريخ التفسير .
الباب الثالث : اتجاهات التفسير .

التفسير :

- التفسير في اللغة : يعني الإيضاح و التبيين . ووزنه تفعيل من الفسر، وهو البيان والكشف . قال الله تعالى " ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق و أحسن تفسيرا" .

- التفسير في الاصطلاح : هو علم يفهم به كتاب الله وذلك ببيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه .

وقالوا في تعريفه : هو علم باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية ، وبحب ما تقتضيه القواعد العربية .

والغرض منه : معرفة معاني النظم .
وفائدته : حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة .
وموضوعه : كلام الله سبحانه الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة .

وغايته : التوصل إلى فهم معاني القرآن واستنباط حكمه ليفاز به إلى السعادة الدنيوية والأخروية.

(التفسير و التأويل)

اختلف العلماء في تحديد معناهما :

فقال قوم : إنهما بمعنى واحد . وقال آخرون : التفسير أعم من التأويل لأنه يستعمل في الكتب الإلهية وغيرها ، و أما التأويل فأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية
تقول : فسرت الكلمة الورادة في بيت الشعر , ولا تقول أولت ذلك.

وقالوا : أكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ و المفردات ، أما التأويل فأكثر ما يستعمل في المعاني و الجمل .

(الباب الأول)
أصول التفسير

أصول التفسير مبحث مهم تفرقت موضوعاته في مقدمات بعض المفسرين وفي كتب أصول الفقه . ومن أشهر الذين أفردوه من المتقدمين ابن تيمية في رسالة خاصة طبعت بعنوان " مقدمة في أصول التفسير " وافرده بالتأليف من المتأخرين العلامة الشيخ عبد الحميد الفراهي من علماء الهند و ترك رسالة عنوانها " التكميل في أصول التأويل " . و البحث في أصول التفسير ما زال متسعاً لمزيد من الدراسة و التأليف . وسنلمس هذا المبحث لمسات تتناول النقاط الثلاث الآتية :

(أ): العلوم التي لابد من تحصيلها ليتسنى لنا أن نفسر القرآن.
(ب) :الشروط الواجب توفرها في المفسر .
(ج) : أهم قواعد أصول التفسير.

أولاً : العلوم التي يحتاج إليها المفسر :

1. اللغة و الاشتقاق :

لأننا باللغة نعرف معاني المفردات ، وفهم حقائق الألفاظ المفردة يكون باستقصاء المعاني التي دلت عليها هذه الكلمة في آيات القرآن .

2. النحو و الصرف :

لأن المعنى يتوقف في أحيان كثيرة على معرفة الإعراب ، ويقع الذين يجهلون هذين العلمين ويتصدون للتفسير في أغلاط شنيعة .

3. الأدب و علوم البلاغة :

ذلك لأن مراعاة ما يقتضيه الإعجاز أمر لازم في التفسير ، فلا بد من إشارة إلى نواحي الجمال الفني في الآية وتحليلها .

4. علوم القرآن :

ذلك لأن معرفة هذه العلوم من أهم الأدوات التي لا بد منها لعملية التفسير . فمعرفة أسباب النزول تساعد كثيراً على فهم الآيات الفهم الصحيح الدقيق . وكذلك معرفة المكي و المدني تعين في إدراك معاني الآيات , وكذلك هو الحال في معرفة الناسخ
والمنسوخ فإنه لها أهميتها القصوى في تفسير الآيات التي تقرر حكمين مختلفين في موضوع واحد . وكذلك فالمحكم و المتشابه من الأمور الأساسية في التفسير ، حتى نتخلص من عناء الدخول في متاهات المتشابه ، و لنصرف جهدنا وطاقاتنا في تفسير المحكم .

5. علوم أصول الدين والتوحيد :

وذلك لأن هذا الكتاب الكريم يتضمن نظرة جديدة إلى الكون و الحياة و الإنسان متمثلة في العقيدة الإسلامية ، فإدراك أصول هذه العقيدة يساعد مساعدة تامة في شرح الآيات الكريمة المتعلقة بذلك .

6. علم أصول القه :

لأننا بواسطة هذا العلم نستطيع أن نعرف استنباط الأحكام من النص ، ووجه الاستدلال على الأحكام .

7. الحديث النبوي والفقه والسيرة :

أما الحديث ففيه تفسير لعدد من آيات القرآن ، إذ كانت مهمة النبي صلى الله عليه و سلم الأولى تبيان ما نزل إليه ، وفيه تفصيل للمجمل وبيان للمبهم .
وأما الفقه الإسلامي فإنه يعرض الأحكام الإسلامية التي ذكرها القرآن مبوبة مجموعة ، فيساعد استحضارها على تصور دقيق لمعاني آيات الأحكام .

8. علوم أخرى :

كالعلوم الاجتماعية و العقلية و الكونية وما يتصل بالثقافة العامة ، فالتاريخ و الجغرافيا و الاجتماع ولعم النفس و الفلك ... كل هذه العوم مما يساعد على تفسير القرآن تفسيراً يتصل بحياة الناس.

ثانياً : الشروط التي يشترطها العلماء في المفسر :

ونستطيع أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام :

1. شروط علمية :

تتلخص بإتقان المفسر قدراً جيداً من العلوم التي ذكرت آنفاً .

2. شروط عقلية :

وهي أن يكون المفسر موهوباً ذا قدرات عقلية ممتازة ، قوي الاستدلال حسن الاستنباط ، قادراً على الترجيح إن تعارضت الأدلة ، عارفاً اختلاف الأقوال على حقيقته .

3. شروط دينية وخلقية :

وهي أن يكون صحيح العقيدة ، مؤدياً للواجبات الدينية ، ملتزماً الآداب والأخلاق الإسلامية التي دعا إليها

الإسلام وأن يكون محرراً من سلطان الهوى ، شديد الخشية لله تعالى .

قواعد أصول التفسير :

سنقتصر هنا على الإشارة إلى أهمها ، لأن محل ذكرها كتب أصول التفسير ذاتها.
من أهم الأصول التي يجب مراعاتها أن تكون خطوات التفسير متدرجة كما يلي :

1. أن يبدأ أولاً بتفسير القرآن بالقرآن ، فما أجمل في موضع فإنه قد فصل في موضع أخر، وما أختصر منه في مكان فإنه قد بسط في مكان أخر.

2. أن يطلب التفسير من السنة؛ فإنها شارحة للقرآن موضحة له، وقد ذكر القرآن أن أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما تصدر منه عن طريق الله : (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ)، وذكر الله السنة مبينة للكتاب : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) ، يعنى السنة . قال الشافعي رضي الله عنه : (كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن) ، وأمثلة هذا في القرآن كثيرة ، جمعها صاحب الإتقان مرتبة مع السور في آخر فصل في كتابه كتفسير

السبيل بالزاد والراحلة ، وتفسير الظلم بالشرك ، وتفسير الحساب اليسير بالعرض.

3. فإذا لم يجد التفسير من السنة رجع إلى أقوال الصحابة ؛ فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزاله ، ولما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح.

4. فإذا لم يجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة ، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين ، كمجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبي رباح،و الحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين، ومن التابعين، من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، وربما تكلموا في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال، والمعتمد في ذلك كله النقل الصحيح، ولهذا قال أحمد: (ثلاث كتب لا أصل لها: المغازي، والملاحم، والتفسير) ؛ يعني بهذا التفسير الذي لا يعتمد على الروايات الصحيحة في النقل.

5. ومن القواعد ما ذكره ابن القيم في كتابه " بدائع الفوائد " ومن ذلك قوله :
(وتستفاد الإباحة من لفظ الإحلال ، ورفع الجناح ، والإذن ، و العفو ، وإن شئت فافعل و إن شئت فلا تفعل ، ومن الامتنان بما في الأعيان من المنافع وما يتعلق بها من الأفعال نحو : " ومن أصوافها و أوبارها و

أشعارها أثاثاً " ونحو " وبالنجم هم يهتدون " ومن السكوت عن التحريم).

(الباب الثاني)
تاريخ التفسير

سنلم في هذا الباب إلمامه سريعة بتاريخ التفسير ، ونستعرض نشوءه أيام النبي صلى الله عليه وسلم ونموه في عهد الصحابة والتابعين ، ثم نتحدث عن توسعه فيما بعد ذلك حتى ننتهي في استعراضنا إلى العصر الحديث ، وسنقسم كلامنا حول تاريخ التفسير إلى أربعة فصول .

(الفصل الأول)

التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم :

القرآن كتاب عربي مبين ، نزل على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليبلغه قومه الفصحاء البلغاء ، فلم يستغلق فهمه بالإجمال على معظمهم ، إذا استثنينا ما تشابه منه.
فهمه العرب ، وكان سبباً في دخول عدد كبير منهم في الإسلام ، ولكن معاني القرآن لا تحد ولا يحاط بها ، ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر الخلق فهماً لهذا الكتاب كان من مهماته الأساسية أن يبين للناس ما نزل إليهم .

والقرآن يحوي نظرة إلى الحياة و الإنسان جديدة على العرب ، ومن أجل ذلك فهم محتاجون إلى مزيد من الرشح و البيان لها حتى يقفوا عليها ، و يعوها حق الوعي ، لا سيما وأن في القرآن المجمل ، و العام ، والمشكل ، وفيه مفردات لا يفهما بعضهم ، فقد كان

بعض الصحابة يكتفي بالمعنى الإجمالي لآيات القرآن ويؤخذ بسحرها وجمالها .

إذن فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتفاوتون في فهم القرآن تبعاً لما يأتي :

1. تبعاً لمواهبهم .
2. تبعاً لإطلاعهم على لغتهم وأدبها و لهجاتها .
3. تبعاً لمعرفتهم أسباب النزول .

وهكذا فإذن كثيراً من مواضع القرآن كانت تثير بعض الأسئلة عند بعض الصحابة فيوجهون بها إلي الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته . وكان يسأل بعضهم بعضاً عن معاني مفردات القرآن الغامضة والآيات بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

(الفصل الثاني)

التفسير في عهد الصحابة :

كانت مادة التفسير في عهد الصحابة رضوان الله عليهم قائمة على ما يأتي من الأمور التالية :

1. تفسير القرآن بالقرآن .
2. ما كان يحفظه الصحابة من تفسيرات النبي صلى الله عليه وسلم.
3. ما كانوا يستنبطونه من الآيات: وكان يعتمد ذلك على قوة فهمهم وإدراكهم.
4. ما كانوا يسمعونه من أنباء أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام.

أشهر الصحابة في التفسير :

1. عبد الله بن عباس.
2. عبد الله بن مسعود.
3. علي بن أبي طالب.
4. أبي بن كعب.
5. أبوبكر الصديق.
6. عمر بن الخطاب.
7. عثمان بن عفان.
8. زيد بن ثابت.
9. أبو موسى الأشعري.
10. عبد الله بن الزبير.

وأهم هؤلاء في التفسير الأربعة الأوائل ، وقد تم ترتيبهم حسب أهميتهم في التفسير وكثرة ممارستهم له ، فأوسع الصحابة اشتغالاً بالتفسير هو عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما.

قيمة تفسير الصحابة :

ننظر في التفسير المنقول عن الصحابة :

1. فإن كان مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهو حديث ، له حكم الحديث أي يكون حجة إن صح سنده.

2. وإن لم يكن مرفوعاً ننظر فيه فإن كان متعلقاً بأسباب النزول أو بما لا يكون من قبيل الرأي والاجتهاد أعطي حكم المرفوع وكان حجة إن صح سنده.

3. أما إذا كان من قبيل الاجتهاد والاستنباط أو ليس متعلقاً بأسباب النزول كان موقوفاً على الصحابي .

ويتحصل من ذلك أن التفسير المروي عن الصحابي إن كان متعلقاً بأسباب النزول أو بما لا يمكن أن يكون من قبيل الرأي و الاجتهاد كان ملزماً ، وكذاك إن كان تفسيراً يعتمد على اللغة التي هم أدرى الناس بها فهو ملزم أيضاً .
أما الشيء الذي ليس داخلاً فيما ذكرناه فهو بشكل عام غير ملزم . وينظر إلى كل رأي على حدة.

(الفصل الثالث)

التفسير في عهد التابعين :

جاء التابعون فنقلوا روايات التفسير عن الصحابة ، وزادوا فيها ما استنبطوه بأنفسهم ، وما زال التفسير يتضخم في عهدهم حتى اجتمع منه الشيء الكثير.
ولكن هذه الأقوال في التفسير لم تكن مجموعة ولا مرتبة بشكل منظم وفق ترتيب المصحف ، بل كانت تروى منثورة تفسيرا ص لآيات متفرقة بين روايات لا علاقة لها بالتفسير ، أي إن التفسير كان مختلطاً بالحديث غير مميز عنه.
وكان التابعون من أهل كل قطر يعنون برواية ما سمعوه وما ورد من التفسير عن الصحابي الذي يقيم في بلدهم.فاختص المكيون برواية ما ورد من التفسير عن ابن عباس , و اختص المدنيون برواية ما ورد من التفسير عن أبي بن كعب. واختص الكوفيون برواية ما ورد من التفسير عن ابن مسعود. وهذه المدارس الثلاث أهم مدارس التفسير في عهد التابعين.

قيمة التفسير التابعين:

اختلف العلماء في الأخذ بأقوال التابعين في التفسير ، فمنهم من ذهب على الأخذ بأقوالهم . ومنهم من لم ير ذلك.
يروى عن أبي حنيفة أنه قال : " ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس و العين ، وما جاء عن الصحابة تخيرنا ، وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال " .
وهذا القول يدل على أننا غير ملزمين بأخذ أقوال التابعين فهم رجال ونحن رجال .
أما القول الذي يلزم بالأخذ بما ورد عن التابعين فهو موضع نظر .. نعم إذا اجمع التابعون على رأي فعندئذٍ يتوجب الأخذ به لأن إجماعهم يدل على وجود نص ملزم و الله أعلم .

(الفصل الرابع)

تاريخ التفسير فيما بعد التابعين :

هذا الفصل يتناول موضوع تاريخ التفسير خلال اثني عشر قرناً ، أي منذ منتصف القرن الثاني الهجري حتى العصر الحاضر ، وليس ذلك مما يتسع له وقت الدراسة ولا منهجها ، ومن أجل ذلك ، فسنقتصر على ذكر خطوط عريضة في غاية الإيجاز.

إن تفسير القرآن الكريم لم يتوقف عند مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي، ولن يتوقف كذلك ما دام هناك عقل يتفكر، وقلب يتذكر.

ويمكننا القول بداية - على ضوء ما تقدم في هذا الصدد - إن تفسير القرآن الكريم مر بمراحل بارزة، حاصل القول فيها كالآتي:

كان تفسير القرآن في بداية الأمر مقصورًا على التناقل عن طريق الرواية فحسب، إذ كان الصحابة رضوان الله عليهم يروون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسيره لبعض الآيات والسور القرآنية...وكان التابعون كذلك يروون عن الصحابة ما كان عندهم من تفسير منقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو ما اجتهدوا في تفسيره... وواضح من هذا أن التفسير في هذه المرحلة كان يقوم على المشافهة والرواية فحسب .
ثم مع بدء مرحلة التدوين عمومًا - والتي يؤرَّخ لها عادة مع بداية النصف الثاني من القرن الهجري الثاني - والبدء بتدوين الحديث خصوصًا، بدأ التفسير يدوَّن ضمن كتب الحديث خاصة، إذ كان يُفرد له باب مستقل ضمن الأبواب التي تشتمل عليها المدونات الحديثة .
ومع انتشار التدوين، واستقلال كثير من العلوم، أخذ تدوين التفسير يستقل شيئًا فشيئًا، فبرزت بعض التفاسير المدونة التي فسرت القرآن الكريم تفسيراً كاملاً، وبالسند فيما كان مسنداً. وليس من السهل في هذا السياق معرفة أول من دوَّن تفسير القرآن كاملاً مرتباً...
وبعد مرحلة التدوين بالإسناد، جاءت مرحلة التدوين لكن مع اختصار الأسانيد، إذ اقتصر التدوين في التفسير على نقل الأقوال التفسيرية دون إسنادها إلى قائليها، الأمر الذي ترتب عليه ظهور ظاهرتي

الوضع، والنقل عن الروايات الإسرائيلية، وربما كان لنا وقفة في مقال لاحق - حسب ما تيسر - على هاتين الظاهرتين .
وبعد تدوين كثير من العلوم وانتشارها؛ كعلم الكلام، وعلوم العربية، وعلم الفلسفة، بدأ التفسير ينحو منحًا جديدًا، إذ دخل في مرحلة التفسير العقلي، التي بدأت بترجيح بعض الأقوال على بعض، اعتمادًا على اللغة العربية، والسياقات القرآنية، واتخذ هذا المنحا من التفسير أشكالاً مختلفة ما بين مقبول ومرفوض .

لقد كان من ملامح هذه المرحلة تنوع التفاسير، وَفْقَ تنوع الاختصاصات العلمية؛ وهكذا وجدنا بعض التفاسير يغلب عليها الجانب اللغوي على غيره من الجوانب، وبعضها الآخر يغلب عليه الجانب الفلسفي، وقسم ثالث يطغي فيه الجانب الفقهي على ما سواه...وهكذا في باقي الاختصاصات .

وعلى الرغم من كل هذا التطور والتغير، لا يمكن القول إن التفسير بالمأثور لم يعد له وجود، بل إن الصحيح والواقع أن هذا التوسع في التفسير العقلي - إن صح التعبير - لم يلغِ التفسير بالمأثور، بل أصبح كل منهما موازيًا للآخر ومكملاً له .
وإضافة لما تقدم ذكره، كان من ملامح هذه المرحلة بدء الكتابة بعلوم القرآن كموضوعات مستقلة؛ كمجاز القرآن، ومفردات القرآن، والناسخ والمنسوخ في القرآن، وأسباب النـزول، وأحكام القرآن، وما أشبه ذلك من موضوعات قرآنية، فصَّلت كُتب علوم القرآن القول فيها .

لكن يلاحظ أن سعة تلك الجهود التفسيرية دفعت من جاء بعدُ إلى العكوف على الاختصار أو التعليق أو التتبع لجهود السابقين، وانحسرت جهود التأليف والإبداع، وترافق ذلك مع ما سمِّي في التاريخ الإسلامي بمرحلة الانحطاط والتقليد والركون إلى جهود من سبق، وسادت مقولة: ليس بالإمكان أفضل مما كان !!

وبدخول عصر النهضة الحديثة، وصعود ما أُطلق عليه ظاهرة "الصحوة الإسلامية" وما شهده هذا العصر من تطورات على الأصعدة كافة، بدأت تظهر العديد من الجهود الإبداعية في مجال تفسير القرآن الكريم؛ فكان من ملامح هذه المرحلة ظهور التفسير الموضوعي للقرآن، أي تفسير القرآن الكريم حساب موضوعات معينة، كموضوع الأخلاق، وموضوع العلم، ما أشبه ذلك .
وكان من ملامح هذه المرحلة كذلك ظهور التفسير العلمي للقرآن الكريم .
ولا ريب أن هذا التنوع والتعدد في الجهود المبذولة لتفسير القرآن الكريم أمر محمود ومشروع، ما دام مضبوطًا بضوابط الشرع وموجهاته؛ وهو في حد ذاته دليل على إعجاز هذا الكتاب، ودليل - من ثَمَّ - على خلوده وتجدد عطائه بتجدد الفكر الذي يتعامل معه ويتوجه إليه .

(الباب الثالث)

اتجاهات التفسير

ظهرت اتجاهات متعددة في التفسير . وغرضنا في هذا الباب بحث أهم هذه الاتجاهات ودراسة خصائصها . وسنخص بالذكر و الدراسة في كل اتجاه كتاباً هاماً من كتب التفسير يمثل هذا الاتجاه.

والاتجاهات التي سنفرد لكل واحد منها باب فهي الاتجاه اللغوي . و التفسير بالأثر ، والتفسير بالرأي ، والتفسير العلمي ، و التفسير الإصلاحي ، و سنشير بعد ذلك في فصل واحد إلى اتجاهات أخرى مثل التفسير الموضوعي و الفقهي و الإشاري . وليس من شك في أن أهم هذه المدارس التفسيرية مدرستان قامتا منذ وقت مبكر هما مدرسة التفسير بالمأثور
ومدرسة التفسير بالرأي.

(الفصل الأول)

الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن :

إن هذا الاتجاه من أقدم الاتجاهات التي وجدت في التفسير ، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام كما يلي :

1. القسم الأول : ما يتعلق بمفردات اللغة هو ما عرف بغريب القرآن ، مثل كتاب (غريب القرآن) لأبن قتيبة.

2. القسم الثاني : ما يتعلق بالنحو و القضايا الإعرابية. مثل كتاب (معاني القرآن) للفراء وكتاب (البحر المحيط) لأبي حيان.
3. القسم الثالث : ما يتعلق بالبلاغة و الأساليب البيانية. مثل كتاب (الكشاف) للزمخشري ، و كتاب (في ظلال القرآن) لسيد قطب.

ولعل هذا الاتجاه بأقسامه هذه من أهم الاتجاهات التي تعني دارسي العربية في دراستهم للتفسير لاتصالها بدراستهم الاختصاصية.

(الفصل الثاني)

التفسير بالمأثور

التفسير بالمأثور اتجاه من أهم اتجاهات التفسير وأجدرها بالعناية ، وهو أقدم هذه الاتجاهات.
والمقصود به : أن تفسر الآية من آيات القرآن الكريم بما يلي :

1. بما جاء في القرآن نفسه في موضع آخر ورد فيه معنى هذه الآية .
2. وبما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من تفسير.
3. وبما نقل عن الصحابة والعدول من التابعين مما يتصل بشرح الآية .

هل تفسير الصحابة و التابعين من المأثور؟؟ :

اختلف العلماء في عد تفسير الصحابة والتابعين من المأثور ، فمنهم من عده مأثوراً ، ومنهم من لم يعده كذلك . غير أن معظم كتب التفسير بالمأثور تورد منه الكثير.
ولعل الرأي الصحيح هو أن ما جاء عن الصحابة و التابعين العدول فيما ليس من باب الاجتهاد والاستنباط وإنما هو متوقف على السماع من النبي صلى الله عليه وسلم يعد من التفسير بالمأثور ، وهو ملزم إن صح سنده.
وأما الأقوال المنقولة عنهم مما يتصل بالاجتهاد والاستنباط فليست من التفسير بالمأثور.

متى يقبل التفسير بالمأثور ؟؟

إن التفسير بالمأثور – فيما عدا التفسير بالقرآن بطبيعة الحال – يقبل إن صح سنده هذا الأثر المفسر للآية ، ويلزمنا الأخذ به.
وأما إذا كان سنده واهياً فلا شك في رده . فإن علينا لنحكم على أثر بالقبول أو الرد أن ننظر في رجال سنده لنعرف درجته.

(الفصل الثالث)

التفسير بالرأي :

قام خلاف شديد بين العلماء في مسألة التفسير بالرأي فمنعه البعض و أجازه البعض أما المانعون فقد ذهبوا إلى حظره وتحريمه ، و استدلوا على ذلك بأدلة أهمها :

1. قالوا إن التفسير بالرأي قول على الله بغير علم ، وهو غير جائز.

2. واستدلوا بالآية الكريمة " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم" وفهموا من الآية أن البيان للرسول ، وليس لغيره إلا أن ينقل قوله بعد تحري ما صح.

3. واستدلوا بالحديث : " اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم . فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار " .

4. واستدلوا بامتناع كثير من الصحابة و السلف من القول في تفسير القرآن ، كأبي بكر رضي الله عنه وسعيد بن المسيب و الشعبي و الأصمعي .

وأما المجيزون فقد ناقشوا هذه الأدلة وبينوا أنها لا تنطبق عليهم كما يأتي :

1. قالوا ليس في التفسير بالاجتهاد قول على الله بغير علم . و إنما هو استخدام العقل في فهم كتاب الله العظيم واحتجوا بالحديث المشهور عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم معاذ عندنا بعثه لليمن فقال معاذ : اجتهد رأيي . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره و قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله.

2. وأجابوا عن الاستدلال بالآية " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم" بأن في الذي ورد بيانه عنه صلى الله عليه وسلم كفاية عن كل تفسير ، وأما الذي لم يرد عنه صلى الله عليه وسلم بيانه ففيه مجال لأن يعمل أهل العلم الأكفاء تفكيرهم فيه ويقفوا على أسراره.

والقول الحق في هذه المسألة و الله أعلم أن التفسير بالرأي ضمن الحدود التي قررها العلماء من التمكن و القدرة و العلم يعتبر جائز ويجب قبوله و إقراره ، وهو الشيء الطبيعي الذي يقتضيه التفاعل نع كتاب الله عز و جل واستنطاقه في شؤوننا المعاصرة. و من أهم كتب التفسير بالرأي تفسير الرازي و تفسير النسفي وتفسير البيضاوي.

(الفصل الرابع)

التفسير العلمي

من مدارس التفسير التي شاعت في هذا العصر ما يدعى " التفسير العلمي" وللتفسير العلمي جذور

في ثقافتنا التفسيرية القديمة ، ونستطيع أن نعد الغزالي في " الإحياء" و " جواهر القرآن" و " القسطاس المستقيم" و " الرازي في " مفاتيح الغيب" من أوائل الباحثين فيه وقد سار في هذا السبيل السيوطي حيث عقد باباً في " الإتقان" تحدث فيه عن العلوم المستنبطة من القرآن.

ولكننا في مطلع القرن الهجري الرابع عشر نرى هذا اللون من التفسير قد راج ونما ، وتوسعت أرجاؤه وتعددت ، وتخصص فيه بعض المؤلفين .

التفسير العلمي هو تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية ، و الربط بين الآيات الكريمة
ومكتشفات العلوم التجريبية و الفلكية و الفلسفية.
ومن أبرز من ألفوا في هذا المجال هو الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره .

والحق أن هذا الاتجاه من التفسير غير سديد ، وذلك لأن العلم في تغير مستمر وفي تبدل دائم فهو لا يثبت على حال على الإطلاق , فقد تظهر حقيقة علمية اليوم يأتي من يبطلها ويثبت ضدها غدا , فكيف يمكن لنا أن نحكم نظريات و فرضيات علمية غير ثابتة و غير مستقرة في كتاب الله عز و جل الذي لا يأته الباطل من بين يديه و لا من خلفه , إن القرآن الكريم أكبر وأجل من كل تلك العلوم والنظريات والتجارب.

(الفصل الخامس)

المنحى الإصلاحي الاجتماعي في التفسير :

كان العالم الإسلامي في القرون المتأخرة ينطوي على كثير من عوامل الضعف و التخلف , وكان الجهل بأحكام الإسلام ومفاهيمه من جهة ، واستحكام العادات المحلية من جهة أخرى ، من أبرز ما يميز الوضع الاجتماعي و الفكري لهذا العالم.
ونستطيع أن نلخص واقع العالم الإسلامي في القرون الأخيرة : الثاني عشر و الثالث عشر والرابع عشر بما يأتي :

1. كانت العادات و التقاليد القومية و المحلية لها قدسية في نفوس الجماهير.
2. كانت البدع و الخرافات وبعض الطقوس الدخيلة تلبي ثوب الدين ، وتخفي وراءه حقيقتها ، وتحجب بمساوئها عظمة الإسلام وعدالته ورفعته.
3. كان للعامة و الغوغاء سلطان كبير ، فلا يجرؤ العلماء على مخالفتهم.
4. أكثر علماء المسلمين يقفون من الحضارة الغربية موقفاً سلبياً لا يقتربون منها ولا يأخذون من علومها شيئاً .
5. تقاسمت دول أوروبا العالم الإسلامي , وأعدت مخططات ومحاولات لإبعاد المسلمين عن دينهم.

وأصبح العالم الإسلامي يتطلع إلى اتجاه يروم الإصلاح ، حتى كان جمال الدين الأفغاني الذي قام بحركة فكرية هامة ، تصدع بصوت عامر بالإيمان ، ومعتز بالقرآن ، ويدعوا إلى معالجة الفساد الاجتماعي ، وذلك بالرجوع إلى الإسلام الحق ، فكان من ذلك الاتجاه إلى إصلاح المجتمع من خلال تفسير آيات القرآن الكريم ، وقام عدد من العلماء بحمل هذه المهمة مهمة التفسير الإصلاحي الاجتماعي للقرآن منهم الأفغاني ومحمد عبده و السيد محمد رشيد رضا رحمهم الله جميعاً .

(الفصل السادس)

اتجاهات أخرى في التفسير :

تم ذكر في الفصول السابقة أهم اتجاهات التفسير ، وهناك اتجاهات أخرى سنكتفي بالإشارة إليها وهي :

1. التفسير الموضوعي :

وهذا اللون من التفسير يتناول موضوعاً واحداً في القرآن ، يعمد المفسر فيه إلى ذكر الآيات المتعلقة بهذا الموضوع ، ويشرحها ويفصل القول فيها ، ككتب أحاكم القرآن التي جمع مؤلفوها الآيات المتصلة بالأحكام ، وهي عديدة أهمها للجصاص ولأبن العربي وككتب " مجاز القرآن" وهي عديدة أهمها للشريف الرضي و العز بن عبد السلام. ككتاب " التبيان في أقسام القرآن" لأبن القيم وككتاب " الإنسان في القرآن" لعباس محمود العقاد.

2. التفسير الإشاري :

وهو التفسير الذي يعتمد الإشارة و يستنبط من الكلمة أو الجملة استنباطات كثيرة ، وقد برع المتصوفة في هذا التفسير.

3. التفسير الفقهي :

وهو التفسير الذي يولي موضوع الأحكام الفقهية عناية خاصة ، ويمكن أن نعد كتاب القرطبي وكتاب الخطيب الشربيني من الأمثلة عليه.

4. التفسير الفلسفي :

وتفاسير الفرق الضالة المنحرفة و ما إلى ذلك.

(خاتمة الكتاب)

عرضت في ما سبق القسم الثاني من الكتاب و الذي يتحدث فيه الكاتب عن التفسير
واتجاهاته و أصول التفسير و تاريخ التفسير و المفسرون من الصحابة التابعين و اتجاهات التفسير منها التفسير اللغوي و التفسير بالمأثور و التفسير بالرأي و المنحى الإصلاحي
والاجتماعي في التفسير و التفسير الفقهي و التفسير العلمي و التفسير الموضوعي و التفسير الإشاري وغيرها م

الطالب : أحمد محمد بوقرين
طالب ماجستير – قسم أصول دين